من الثلة القليلة التي باعت نفسها لله

تجربته في المناطق ووجود سماحة السيد نصر الله إلى جانبه جعل الحمل يخف عليه مضافاً لحمايته التامة من التشويش عليه لو أراد أحد أن يفعل ذلك، وسرعان ما أصبح السيد الشهيد صفي الدين يحظى بدور ومكانة داخل المجلس الجهادي وبالتدريج استطاع رحمه الله من حجز مكانة مميزة داخل مؤسسات حزب الله وعند العلماء والفعاليات المختلفة ولدى جمهور حزب الله حتى بات يُنظر إليه أنه الخليفة المؤكد للشهيد السيد نصر الله لو أُصيب بأي مكروه، هذا من حيث الظاهر؛ لكن الله أعلم بمصلحة عباده "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم" ونحن من الذين نؤمن بالرسالة السماوية وبرب العالمين وبإمامنا صاحب الزمان(عج) ولسنا من جماعة أُحد الذين قال لهم تعالى: "وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل"؛ وأستطيع القول وعبر عملي المباشر مع سماحة السيد هاشم صفي الدين لسنوات طويلة وصداقتي له، أقول: كان ناجحاً جداً في عمله وقدرته على العمل واستيعابه للأمور كانت رائعة والشخص البديل عنه حتى ينجح في عمله يجب عليه أن يدرس بدقة الأسلوب والنهج الذي خطه، ومع ذلك سيتُعب من بعده وليس من السهولة أن يأتي مثله بسهولة؛ لكن المهم في هذه السنوات استطاع السيد هاشم أن يُمسك بمفصل التنظيم ويضعه على السكة الدقيقة ويضع معايير لكل وحدات وملفات ومؤسسات حزب الله، حيث باتت جميعاً تعمل طبق قوانين مدروسة ومترابطة مع بعضها من دون تداخل يُخلّ بوظيفتها تحت سقف مرجعيته، وهذه لم تكن مسألة بسيطة لحزب بهذا الحجم، وهذا يُسجل للشهيد السيد هاشم وسيبقى طيفه حاضراً إلى ما شاء الله".

علاقة أخوة وقرابة وجهاد جمعت بين السيدين

يشرح الشيخ البغدادي بأن "العلاقة بين السيد حسن نصر الله والسيد هاشم صفي الدين كانت مركبة من رحمية وصداقة وعمل، فأمّ السيد حسن رحمها الله من آل صفي الدين، وفي مدينة قم المقدسة نشأت صداقة وتواصل معه، وشكّلت معرفة السيد نصر الله بالسيد هاشم قناعة بضرورة حضوره إلى لبنان والتصدي لمهام أساسية في حزب الله، حيث أن وجوده سيكون نافعاً جداً لهذه المسيرة التي حملت على عاتقها مسؤولية حماية التشيع والمحافظة على وحدة المسلمين ومواجهة الإحتلال الصهيوني وحماية لبنان والدفاع عن المقدسات، وهذه أنا كنتُ شاهداً عليها منذ عام ١٩٩١م عندما قال لي السيد نصر الله: "أنا طلبت من السيد هاشم صفي الدين والشيخ نبيل قاووق البقاء في لبنان وترك السكن في مدينة قم المقدسة"، ويوماً بعد يوم كانت قناعة السيد نصر الله تزداد بأهمية وجود السيد هاشم الذي كان يعرف بالدقة ماذا يُريد السيد نصر الله وكان يستفيد من تجاربه ونصائحه، كما كان السيد هاشم حريصاً على عدم إزعاجه حتى في أبسط الأمور، هذه كانت تُزعج البعض وتعتبرها ضعفاً من السيد هاشم أو تملقاً؛ لكن السيد صفي الدين كان له اعتقاد تام بالسيد نصر الله وبخبرته الطويلة لذلك كان يرى الرشد باتباعه والإنصياع التام لما يراه، ولم يأبه بهذا الإنتقاد، في السنوات الأخيرة كان للشهيد السيد نصر الله اهتمامات كبيرة خارج الإطار التنظيمي. هنا بدأ السيد هاشم يُحرر نفسه من بعض القيود وكان هذا يلقى تشجيعاً منّا، كنا نرى ضرورة أن يأخذ السيد هاشم مكانه الطبيعي كما لو أنه الرقم الأول وهذا له علاقة بمصلحة العمل".

ويؤكد الشيخ البغدادي: "أنا شخصياً من خلال عملي لسنوات مع سماحة السيد حسن نصر الله كنتُ أدرك وأشاهد مكانة السيد هاشم عنده، وحتى بعض الجلسات التي كانت تجمعنا مع السيد نصر الله بحضور السيد هاشم كنتُ ألاحظ بوضوح الاحترام الشديد والحب الذي يكنّه السيد نصر الله للسيد صفي الدين، وكان السيد رحمه الله يُرجع الكثير من القضايا للسيد هاشم لثقته به ولمعرفته بقدرته على تحمل هذه الأعباء، مضافاً لتمكينه أن يكون البديل له لو أُصيب بمكروه، هذا لم يُصرح به لكنه كان معروفاً للقاصي والداني".

تأثير استشهاد القادة

بدايةً، يجب أن نعتقد بالأجل وأن الموت حق وهذا بيد الله وحده، ومسألة شهادة أو موت القادة تدخل ضمن السنن الإلهية التي اعتدنا عليها ونبّه إليها القرآن الكريم أن موت الأنبياء أمر طبيعي ولا يجوز للأمة أن تتراجع عن إيمانها وثباتها برحيل القادة، وعلينا أن نعتقد ونؤمن بأن صاحب الرسالة السماوية هو الله (سبحانه وتعالى)، فقال عزوجل: "إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون"؛ لكن فقدان هؤلاء القادة من ناحية الخسارة الظاهرية والإرتباط العاطفي لا تُقدر ولا يمكن وصفها، ونفس السيدة الزهراء(ع) عندما عاد المسلمون من دفن النبي(ص) قالت لهم: "وهل استطعتم أن تدفنوا نبيكم؟" تتحدث (ع) عن العاطفة والارتباط العضوي، بهذا المعنى خسارة القادة الذين هم النموذج القدوة لا يُقدر ولا يمكن وصف تلك المصيبة؛ لكن من جهة الاعتقاد كما بيّنا والمسيرة غير المتوقفة على الأشخاص سوف تتجاوز بسرعة هذه المصاعب وتسير طبق البصمات لهؤلاء القادة، فنحن لن نتمكّن في كل يوم أو مدة من الزمن أن نأتي برجال قادة لهم بصمات خاصة؛ لكن المطلوب أن نسير طبق هذه الخطط والبصمات وبهذا نضمن استمرار المسيرة والقيام بالتكليف الشرعي وغير ذلك، الله تعالى سوف يستبدل قوماً غيرنا لحفظ هذه المسيرة، وهذا ما درسناه في الحوزات العلمية فحتى الحواضر العلمية لها المؤسسون والقادة الذين تركوا مناهج وإبداعات ومن ثم رحلوا، وهذه المسيرة العلمية لم تتوقف، سواء في بغداد، عندما ارتحل المؤسسون لتلك المرحلة الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي، وهكذا مرحلة الحلة، ثم جبل عامل، وكيف عادت إلى النجف الأشرف، فهناك مئات من السنين بين قادة هذه الحواضر العلمية والحوزات العلمية لم تتوقف برحيلهم، وإنّما استمرّت بتلك البصمات والمناهج، وهذه نفسها سارت عليها الجمهورية الإسلامية عندما فقدت المؤسس الإمام الخميني(قدس) ومعه العشرات من القادة الشهداء الأساسيين، واستمرت الثورة بوهج دمائهم وبصماتهم، ونحن اليوم نسير طبق الخطى ونلتزم نفس الطريق ولن تهزنا العواصف وسنحمل دمهم ووصاياهم وخططهم وبصماتهم ونمضي من دون تردد وسوف ننتصر إن شاء الله".

الشهادة العظيمة.. السيد هاشم صفي الدين

الشيخ محمد الزعبي
عضو تجمع العلماء المسلمين

الوفاق/ لا يمكن الحديث عن سماحة الشهيد السيد هاشم صفي الدين دون ذكر علاقته بابن خالته الأمين العام لحزب الله سماحة السيد الشهيد حسن نصر الله منذ درسا معاً في مدينة قم المقدسة إلى قيادتهما لحزب الله وللمقاومة الإسلامية ليختم لهما بالشهادة معاً في سبيل الله، وعلى طريق القدس.

استشهاد القادة لنا عادة

لم يتعلم العدو الصهيوني بعد أن قتل القادة لا يضعف المقاومة، بل إن دماء قادتها وسائر شهدائها سرعان ما تستحيل طاقة دافعة تزيدها عزماً وثباتاً وإيماناً وثقة بنصر الله..

لطالما تحدث السيد الشهيد هاشم صفي الدين عن الشهادة، وأن أداء الواجب الجهادي لا يتحقق إلّا بها، وهو العارف بقدر الشهادة عند الله وفي الدنيا..

نال السيد صفي الدين أمنيته، والله سبحانه وتعالى يقول: "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون* فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون"..

مضى السيد هاشم وقبله السيد حسن إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر، عاشا كمال الفرح "بما آتاهما الله من فضله"؛ لكنهما ما زالا يتابعان إنجازات المقاومة وبيئة المقاومة وأنصار المقاومة وداعمي المقاومة.. "ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم" يتابعونهم مستبشرين بألّا خوف عليهم من الانكسار، ولا خوف عليهم من التعب، ولا خوف عليهم من التراجع أو الفتور "ولا هم يحزنون".. لا يحزنون ولا يحبطون..

كان السيد هاشم مع السيد حسن وهو يشرف على إعداد المجاهدين، وكان معه وهو يغرس في بيئة المقاومين معاني الصبر والثبات والإيمان والعزة والشموخ والتوكل والرضا والبذل والتضحية.. إنه جيل لا تكسره النكبات ولو كانت عظيمة جداً "فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ* وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ* فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"..

هذا الجيل العصي على الوهن وعلى الضعف وعلى الاستكانة لابد أن يتحقق فيه وعد الله عزوجل بحسن ثواب الدنيا عزاً وانتصاراً، وبحسن ثواب الآخرة فوزاً ورضواناً..

لا شك في أن العدو الصهيوني انتبه إلى أهمية الحرب النفسية، إذ التاريخ يشهد أنه لا يمكن أن تكون هزيمة إلا إذا سبقها انهيار نفسي، على سبيل المثال نذكر هيروشيما وناكازاكي المدينتان اليابانيتان اللتان ضربتهما الولايات المتحدة الأمريكية بالقنابل النووية، فإن اليابان أعلنت بعد الضربة استسلامها مع أن بنية الجيش الياباني لم تضرب؛ ولكن ضرب المدنيين بهذه الفظاعة أدى إلى انهيار معنويات الجيش الياباني وإعلان استسلامه.

سلوك العدو في هذه الحرب (تفجيرات الأجهزة، اغتيال القادة، ارتكاب المجازر، تدمير القرى والمدن...) يدل أنه يدرك أن أية هزيمة عسكرية لابد من أن تبدأ بالهزيمة النفسية من خلال الخوف والشك وانهيار المعنويات. هذا يعرفه العدو جيداً.. ولكن ما لا يعرفه هذا العدو، الذي يتفاجأ بغباء دائماً، أن الحصون النفسية للمقاومة وبيئتها منيعة وعصية على الاختراق فضلاً عن الانهيار.

ولذلك يستحيل أن ينتصر العدو مهما ارتكب من جرائم، لأنه يستحيل أن ينال من معنويات المقاومة وبيئتها، أو من إرادتها. عدا عن أن الواقع الميداني أثبت عجز العدو عن الاجتياح البري وعجزه عن وقف صواريخ المقاومة، وبالتالي عجزه عن إعادة مغتصبي شمال الكيان من السكان إلى بيوتهم، بل إن رئيس الكيان الصهيوني نفسه قد هُجِّر من بيته (أو بالأحرى من البيت الذي سرقه أبوه سنة ١٩٤٨ من الطبيب المقدسي المسيحي توفيق كنعان).

ولذلك فإن السيدَيْن الشهيدَيْن مستبشران بالذين لم يلحقوا بهما أن المقاومة قطعاً ستنتصر، لأن كل عناصر النصر قد تحققت فيها: الإيمان والصبر والتضحية والثبات والإعداد والتخطيط والمراجعة والتطوير والرؤية الاستراتيجية.

استشهد السيد صفي الدين بعد أن أنجز كل ما سعى لإنجازه على مستوى المقاومة، بل حتى شرحه لكتاب نهج البلاغة أنجزه، فمضى إلى ربه فرحاً بمنجزاته، وفرحاً بشهادته وفرحاً فوق هذا بلقاء ربه..

"الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ".